رابط المادة على منصة باحث

مجالس في تدبر القرآن

مجالس في تدبر القرآن |)520(قوله تعالى: وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى...

خالد السبت

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته ما زال الحديث ايها الاحبة متصلا خبر الله تبارك وتعالى عن ادم صلى الله عليه وسلم مع عدوه ابليس - 00:00:01

فيما قص الله تبارك وتعالى في هذه السورة الكريمة سورة البقرة فالله تبارك وتعالى لما بين فضل ادم عليه الصلاة والسلام بتعليمه الاسماء كل الاسماء وكما عرض هذه الاسماء على الملائكة - 00:00:23

فلم يعرفوها وفوضوا علم ذلك الى الله جل جلاله وتقدست اسماؤه فلما ظهر فضله بالعلم امر الله تبارك وتعالى ملائكته ان يسجدوا لهذا المخلوق المكرم. واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم - 00:00:42

فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين الله تبارك وتعالى امر الملائكة ان تسجد سجود تكريم لادم عليه الصلاة والسلام وليس بسجود عبادة وكما قص الله من خبر يوسف صلى الله عليه - 00:01:03

وسلم حين رفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تصديقا لرؤياه التي قصها على ابيه من قبل اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين. فتحق هذا بسجود ابويه واخوته له. فكان ذاك من قبيل سجود - 00:01:26

التكريم والله تبارك وتعالى قد شرع لنا في هذه الشريعة الا نسجد لغيره لا سجود تكريم ولا سجود عبادة. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لو كنت امرا احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة - 00:01:51

ان تسجد لزوجها لعظم حق هذا الزوج وما يتطلبه هذا الحق من التكريم والنهوض بحقوقه والخضوع الكامل له فيما لا يعارض خضوعها لربها تبارك وتعالى ولا يزاحمه فهنا واذكر اذ قلنا للملائكة - 00:02:11

اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس منعه الكبر من ان يسجد امتثالا لامر الله جل جلاله وتقدست اسماؤه لاحظوا هذا الخطاب واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم بصيغة الجمع قلنا واذكر اذ قلنا للملائكة - 00:02:37

وقبل ذلك واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة. ففي سياق قص الخبر على النبي صلى الله عليه وسلم واذ قال ربك بالافراد واذ قال ربك واضافة اسم الرب تبارك وتعالى الى النبي صلى الله عليه واله وسلم. وهنا واذ قلنا - 00:03:02

للملائكة فما الفرق بين المقامين؟ هناك في سياق خبر للنبي صلى الله عليه وسلم والفرق بين المقامين ظاهر هنا امر بالسجود وهو عنوان الخضوع ان يسجد الملائكة الذين كانوا يقولون اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء - 00:03:29

فلم يقف الامر عند خلق ادم صلى الله عليه وسلم بل امروا ايضا بالسجود له فهذا مقام يقتضي تعظيم الامر وهو الله وتبارك وتعالى ليكون ذلك ادعى الى تنفيذي امره وتحقيقه - 00:03:53

لما له من العظمة في النفوس. واذ قلنا للملائكة هناك ليس في مقام الامر وانما هو مقام خبر يخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن غيوب مضت قبل ان يخلقه وقبل ان يخلق - 00:04:14

ادم صلى الله عليه وسلم واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة فهذا فيه تفنن في الخطاب هذا بالاضافة الى ما ذكرت من الفرق بين المقامين ينضاف الى ذلك ايضا ان ذكر هذا الاسم الكريم الرب في الموضع السابق واذ قال ربك - 00:04:33

للملائكة اني جاعل في الارض خليفة فاسم الرب يتعلق بتدبير امور المربوبين من اهل العالم العلوي والعالم السفلي ويدخل في ذلك

خلق ادم صلى الله عليه وسلم ويدخل في ذلك ايضا الامر - 00:05:00
امر الملائكة بالسجود له. فكل ذلك من معاني ربوبيته. ومن مقتضياتها فهو يتصرف بخلقه ويدبر شؤونهم امرا ونهيا وفعلا قلقا كل ذلك يرجع الى ربوبيته. واذ قال ربك وهنا واذ قلنا للملائكة - 00:05:21
اسجدوا لادم فهذا من وجوه الفرق بين المقامين. هذا الموضع ايها الاحبة ايضا اخذ منه طوائف من اهل العلم تفضيل ادم صلى الله عليه وسلم على الملائكة باعتبار ان الله امر الملائكة بالسجود لادم - 00:05:50
والسجود انما يكون لي من المفضول للفاضل وتكلم العلماء في هذا الموضع عن كتب التفسير والم به طوائف منهم في كتب الاعتقاد وغيرها في الكلام على مسألة معروفة وهي المفاضلة بين - 00:06:11
الملائكة وصالحي البشر لامروا بالسجود لادم فالنبي صلى الله عليه وسلم افضل من ادم صلى الله عليه وسلم. فاذا كان ادم عليه الصلاة والسلام افضل من الملائكة فانه يوجد في ذرية ادم من هو افضل من ادم صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان رسول الله عليه الصلاة والسلام - 00:06:30
هو افضل البشر وافضل الانبياء والمرسلين وهو اشرفهم فاذا كان الامر كذلك فيكون ايضا غير ادم ممن له فضل منزلة كادم او افضل من ادم عليهم صلوات الله وسلامه فيكونون ايضا افضل من الملائكة - 00:06:54
فالعلماء يتكلمون على هذا ويتكلمون على عبودية الاختيار وهي عبودية البشر. ومن ثم قيدوا ذلك بالصالحين من البشر لكنها مسألة لا طائل تحتها ولا يترتب عليها عمل ولذلك كان المحققون من اهل العلم ينأون بانفسهم عن الخوض في ذلك والاشتغال به لانه لا يترتب عليه عمل وانما يشتغلون - 00:07:17
بالمسائل التي ينبني عليها عمل. اذا عرفت ان صالح للبشر افضل من الملائكة او ان الملائكة افضل من صالح البشر. ما الذي يترتب على هذا؟ لا شيء. من الناحية العملية - 00:07:43
لا شيء لكن يكفينا هذا السجود انه يدل على تشريف ادم صلى الله عليه وسلم وكما ذكرنا من قبل بان المنة والنعمة الواصلة الى الاباء تلحق الابناء ولهذا فالله يقص علينا هذا القصص - 00:07:56
امتنانا واخبارا وايضا لنقوم بمقتضيات هذا التكريم من عبادته وحده وعدم طاعته الشيطان والله المستعان ثم تأمل قوله تبارك وتعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الفاء تدل على التعقيب المباشر - 00:08:18
فهذا يدل على ماذا؟ يدل على سرعة الامتثال والاستجابة بلا تردد لكن من الذي توقف وامتنع هو ابليس كما قال الله تبارك وتعالى الا ابليس ابى واستكبر فهذا الاستكبار يعني - 00:08:43
الاستزادة التطاول والتمادي في الكبر السين والتاء هنا فاستكبر بعض اهل العلم يقولون هي للمبالغة وليست للطلب يعني تمادى في تكبره وترفعه حصل منه هذا الى امتناع فجاءت بهذه الصيغة الاستفعال الاستكبار - 00:09:02
ومن هنا ذهب بعض اهل العلم الى ان هذه المادة الكبر لا تأتي في القرآن الا بهذه بهاتين الصيغتين استكبر وتكبر بمعنى انه كأنه يتكلف ذلك وليس بكبير لكن هذا ليس على اطلاقه - 00:09:30
لان اصل هذه المادة فيما يعبر به ويوصف به المعبود جل جلاله يقال الله المتكبر وهو كبير حقا وهو اكبر من كل شيء فجاءت على هذه الزنا والبناء ولكن بالنسبة للمخلوق لا شك انها نقص لانه عبد لا يصلح له - 00:09:53
الترفع الكبر فهذا المعنى الذي اشار اليه بعض اهل العلم كالطاهر ابن عاشور على جلالته وقدره في هذه العلوم البلاغية. الا ان ذلك قد لا يتأتى فيما يتصل بوصف الله - 00:10:15
عز وجل فانه يشكل على ما ذكر ثم تأمل قوله تبارك وتعالى الا ابليس ابى واستكبر يعني لم يأبى فقط بل استكبر وكان من الكافرين وهذا يدل على ماذا يدل على ان ابليس - 00:10:36
كان مع الملائكة حينما امروا بالسجود دخل في الامر معهم. ومن هنا فهم بعض اهل العلم ان ابليس كان من الملائكة فكفر وهذا امر وان قال به جمع من اهل العلم - 00:10:55

بما فهموا من هذه الايات التي جاء فيها الاستثناء وقالوا ان الاصل في الاستثناء الاتصال وليس الانقطاع ومعنى الاتصال في مثل هذا الموضع والمواضع الاخرى بمعنى انه حينما يكون استثناء فالاصل ان المستثنى من جنس المستثنى منه. تقول جاء القوم الا رجلا - 00:11:11

فالرجل من القوم تقول رأيت المصلين الا زيدا فزيد من المصلين ومن جملتهم لكني ما رأيته وهكذا فالاصل ان المستثنى من جنس المستثنى منه لكن لما تقول جاء القوم الا بعيرا - 00:11:38

فالبعير ليس من القوم فهذا يسمونه الاستثناء المنقطع المنقطع الذي لا يكون المستثنى من جنس المستثنى منه تقول اخذت النقود الا صاعا من تمر صاع التمر ليس من النقود فهذا استثناء منقطع بمعنى لكن - 00:11:57

لكن صاعا من تمر لم اخذه جاء القوم لكن بعيرا لم يصل بهذا المعنى. هذا يقال له استثناء منقطع فبعض اهل العلم لما نظروا الى القاعدة وان الاصل في الاستثناء هو الاتصال واذ قلنا للملائكة فهذا امر للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس - 00:12:18

قالوا فالاصل في الاستثناء ان المستثنى من جنس المستثنى منه. اذا ابليس من الملائكة لكن هذا يشكل عليه ويرد عليه هذا الفهم الذي لا شك ان هذه القاعدة تؤيده لكن القرآن يفسر بعضه بعضا. ففي جميع المواضع جاء الاستثناء هكذا الا في اية - 00:12:38

الكهف الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه كان من الجن فهذه صريحة ولكن بقي اولئك على قولهم انه كان من الملائكة طيب وكان من الجن قالوا الجن قبيل من الملائكة - 00:12:58

صنف من الملائكة يقال لهم الجن وان ذلك هو المراد بقوله تبارك وتعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا. قالوا الملائكة ان المشركين نسبوا الملائكة الى الله تبارك وتعالى وهذا الكلام غير صحيح لانه خلاف الظاهر المتبادر والاصل حمل الكلام على الظاهر المتبادر الا بدليل يوجب الرجوع الى معنى - 00:13:16

اخر وهو التأويل كما يقولون وهنا لا يوجد دليل فيقال هذه الايات تفسرها اية الكهف فابليس لم يكن من الملائكة لكنه كان معهم في الملأ الاعلى ولذلك امره الله عز وجل بالخروج وطرده وابعده واهبطه - 00:13:45

فهبط من السماء الى حيث شاء الله تبارك وتعالى الا ابليس هنا ابى ما سبب هذا الاباء هو الكبر؟ استكبر فهذا الكبر هو سبب البلاء والشر والشقاء هو الذي جعل - 00:14:03

هؤلاء الكفار الذين عرفوا الصدق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم يردون دعوته ويؤثرون الخلود في النار على الاستجابة يعرفونه كما يعرفون ابناءهم اذا كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم. اذا هم يعلمون انهم سيدخلون النار وسيخلدون فيها - 00:14:25

ومع ذلك اصروا فان الكبر يدفع صاحبه دفعا ويستفزه الى ركوب المعاطب والمهالك ويعميه عن النظر فيما يصلحه وينفعه ويرفعه وهكذا فان الانسان قد يرد الحق الذي جاء عن الذي جاء على يد غيره ممن يرى انه دونه - 00:14:45

وكما قال المعلمي رحمه الله الشيخ عبدالرحمن المعلمي اليماني في كتابه جليل النفع عظيم القدر التنكيل والذي افرد اوله المعروف بكتاب القائد الى تصحيح العقائد. فذكر جملة من الاسباب في رد الحق - 00:15:13

ومداخل الهواء الدقيقة التي لا تكاد تخطر على بال في بالك فمما ذكره الكبر فرعون كان يقول عن موسى صلى الله عليه وسلم ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين - 00:15:34

وهكذا كان اولئك الكفار منذ امد طويل يقول وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا لو كان هذا الذي جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام حقا وخيرا يقولون ما سبقونا اليه - 00:15:49

يرون ان المقاييس والمعايير هي بمقاييسهم هم لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. ينزل على هذا اليتيم اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا. ابو سفيان لما سمع هرقل يقول ما قال بعد السؤالات المعروفة التي وجهها اليهم يسألهم عن - 00:16:07

النبي صلى الله عليه وسلم وعن دعوته وعرف ان ذلك حق وانه سيملك ما تحت قدميه ماذا قال ابو سفيان حينما خرج من عنده قال

لقد امر يعني بلغ امر - 00:16:31
ابن ابي كبشة ان يخافه ملك بني الاصفر ولاحظ الاختيار بعناية الاسم ابن ابي كبشة يريد ان يغض من النبي صلى الله عليه وسلم فالذي منعهم هو الكبر فهذا الذي هو في صدورهم كما اخبر الله عز وجل - 00:16:45
ام في صدورهم الا كبر فهذا التعالي والترفع والتعاظم يجعل الانسان يرد الحق وكما يقول المعلمي رحمه الله في كتابه الذي اشرت اليه انفا ان الانسان قد يرد الحق لانه يرى انه جاء عن طريق من هو دونه او يراه دونه - 00:17:05
او لان لا يشعر احد او يشعر هذا الذي جاء بالحق ان ذلك افضل منه يتكبر او ان ينسب الى ضلالة في سالف دهره دهرا وهو يدعو الى هذا ثم بعد ذلك يخرج انه كان على ضلال - 00:17:26
او انه يرجع الى المربع رقم صفر بمعنى انه كل هذه المآثر التي حصلها والمكاسب التي جمعها والمنزلة الاجتماعية التي حصلها ستضمحلي انها بالباطل فهذا صار له في الباطل شهرة ومعيشة - 00:17:43
فيرد الحق بسبب هذا وهكذا ايضا يرد الحق لئلا يعير بهذا كما فعل ابو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم فكان كما ذكر الحافظ بن كثير رحمه الله في قصيدته - 00:18:03
المشهورة انه يقول ولقد علمت ان دين محمد من خير اديان البرية دينا لكنه يعتذر عن اتباعه لئلا يلحقه مسبة ويعير انه ترك دين الاباء والاجداد فاخذته الانفة والحمية لكن هل نفعته هذه الحمية - 00:18:22
ابدا. فمات وهو يقول هو على دين عبدالمطلب اذا الحق ينبغي ان يقبل ممن جاء به وقد اخذ اهل العلم في قصة سليمان عليه الصلاة والسلام مع الهدهد قال وجئتك بنبأ يقين - 00:18:43
بخبر سبأ وسليمان عليه الصلاة والسلام ما منعه ان يرد هذا الخبر الذي ترتب عليه هذه الاثار الكبار بسبب حقارة الهدهد انه جاء بطريق هدهد فلم يمنعه ذلك من النظر والتثبت والتحري - 00:18:59
ثم بنى عليه ما قد علمت مما اخبرنا الله تبارك وتعالى بل كبر احيانا يمنع الانسان من اتباع الحق. يمنعه من اتباعه مطلقا يرد كل الحق يرد دعوة الرسل اليهود ردوا دعوة النبي صلى الله عليه وسلم - 00:19:20
وكذلك قد يرد بعض الحق في مسألة في جزئية الشيخ الاستاذ المعلم ونحو ذلك قد يرد عليه تلميذ وقد يتكبر ويأنف ويغضب فيمنعه ذلك من الرجوع الى الحق ويكابر يأتي بأجوبة ركيكة وضعيفة وبعيدة من اجل ان لا يقول اخطأت لا هو يجب ان - 00:19:38
قل بكل شجاعة اخطأت او اذا ما يعرف الجواب يقول ما اعرف ثم بعد ذلك قل ابحث انظر اراجع وهكذا هذا هو الصحيح وما قد يقال في بعظ طرق التدريس ونحو هذا بان المعلم الحاذق هو الذي يحسن الخروج - 00:20:02
من السؤالات المحرجة فاذا سأله احد الطلاب بسؤال لا يعرف جوابه لربما يجرى هذا في المقابلات وهذا خطأ مقابلة من اجل ان يختار في التعليم. يقال ماذا تفعل اذا وجه اليك احد الطلاب سؤالا - 00:20:22
فيأتي هذا ويتذاكى فيقول اقول له هذا سؤال مهم ذكرني في اخر المحاضرة او يقول هذه مسألة مهمة ابحثها فيشتغل هذا الطالب البائس المسكين بنفسه لا قبل ان تقول هذا الكلام او تقول اخر المحاضرة من اجل ان ينسى قل اول شيء قل انا لا اعرف - 00:20:39
هذا اول جواب اذا كان مثل الامام مالك وغير الامام مالك يقولون بملء افواههم لا ادري فكيف بالمعلم وبالناس المساكين من امثالنا ومن وعلى هذه الشاكلة نقول اول شيء لا اعرف - 00:21:03
ثم بعد ذلك نقول ابحث هذه المسألة او تبحثها او ابحثها تراجعها او اراجعها او نراجعها سويا حتى نتوصل الى شيء فهذه ينبغي ان نتذكرها كذلك ايضا الانسان حينما يقدم له نصيحة ولو ممن هو دونه لربما تقدم له زوجته او ولده او جاره او صديقه او او من هو - 00:21:21
اقل منه لا حاجة للبحث عن حيل كثيرة وطريق طويل ومقدمات حتى توصل اليه هذه النصيحة خوفا من ردود الافعال العنيفة ان جاءت هذه النصيحة على يد من يتصور انه اقل منه. لا فان الكبير - 00:21:46
يكمل نفسه دائما ويفرح بما يكمله وينفعه ويرفعه. اما النفوس الصغيرة فتلك التي اذا القي فيها حجر فهي كالفنجان طفح ولا يحتمل

ولا يتمالك واما البحر فانه على اسمه لو القيت فيه الجبال - 00:22:05
فانه يستوعبها يستوعبها وهكذا يحولها الى شعب مرجانية ونحو ذلك لكن الصغير لو قيل له ربع كليمة لاكلت معه وشربت دهرا نفوس الكبار يا كلب حار الانسان الكبير كالفلات قلبه واسع - 00:22:26
فهو ينتفع ويستفيد مما عند الاخرين من ملحوظاتهم ونحو ذلك لاحظ ثم هنا قال استكبر وكان من الكافرين لاحظ ما قال وكان كافرا وانما جعله في جملتهم وذلك لان اثبات الوصف لموصوف بعنوان كون الموصوف واحد يعني موصوف بعنوان - 00:22:49
فيكون هذا الموصوف هو واحد منها جملة هؤلاء الذين عرفوا بهذا وهم الكافرون مثلا كان من الكافرين ذلك اثبت واعلق وادعى الى بيان حاله في الانغماس في جملتهم وانه قد - 00:23:16
ولغى في ذلك ولوغا عظيما وانه قد صار بحيث يكون هذا الوصف الصدق ما يكون به والله تعالى اعلم هنا اتوقف ولكن اختم بفائدة لا علاقة لها بهذا الموضوع فاذا جميلة كنت - 00:23:34
ذكرتها في رمضان قبل سنتين او نحو ذلك في الكلام على التدبر وطرق الدلالة فاليوم كنت اقرأ بذلك الذي ذكرته فمرت بهذه الفائدة وهي تصلح في مثل هذه الايام ونحتاج اليها - 00:23:58
بقوله تبارك وتعالى فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها لاحظ دمدم عليهم ربهم بذنبهم ما هو الذنب عقر الناقة - 00:24:17
مع شركهم بالله عز وجل وتكذيبهم لنبيهم عليه الصلاة والسلام. يقول شيخ الاسلام رحمه الله اذا كان هذا عذابه لهؤلاء وذنبهم مع الشرك عقر الناقة التي جعلها الله اية لهم - 00:24:39
فمن انتهك محارم الله واستخف باوامره ونواهيه وعقر عباده وسفك دماءهم كان اشد عذابا يقول اذا كان هذا عذابه لهؤلاء وذنبهم مع الشرك عقر الناقة التي جعلها الله اية لهم. فمن انتهك محارم الله - 00:24:57
واستخف باوامره ونواهيه وعقر عباده وسفك دماءهم كان اشد عذابا وهذا الوصف اصدق ما يكون اليوم على هؤلاء الذين اتخذهم الشيطان مطية للافساد والفساد في الارض مستحلين ذلك تحت راية - 00:25:20
عنوانها الجهاد ويحسبون انهم على شيء نسأل الله العافية فهذا نسأل الله العافية يكون العبد بهذه الحال ممن زين له سوء عمله والله اعلم وصلى الله على نبينا محمد واله وصحبه - 00:25:44
سلامة الله - 00:26:01